‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

الرثاء في يائية الشيخ جنيد محمد زاريا: دراسة أدبية

إعداد

عبد الله عمر زُورُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الملخص:

إن هذه المقالة بعنوان "الرثاء فى يائية الشيخ جنيد محمد زاريا: دراسة أدبية تحليلية" تحتوى المقالة على نبذة تاريخية عن حياة الشيخ جنيد محمد حيث تحدث عن نسبه ومولده ونشأته وعلمائه ثم ذكر إنتاجاته كما تناول فى المقالة الرثاء لدى الشيخ جنيد محمد من التفجع واللوعة والندبة والتأبين والعزاء, قام فيها بدراسة أدبية تحليلية لبائيته فى الرثاء من حيث الأسلوب وصياغة الألفاظ والتراكيب والعاطفة والخيال والموسيقى الداخلية والخارجية والقافية ثم الخاتمة والهوامش والمصادر والمراجع.

Abstract

This paper title: Ar-ratha fiya’iyyati Al-Sheikh Junaidu Muhammad Zaria: Dirasatun Adabiyyatun Tahliliyyatun. This paper gathered a life history of Al-Sheikh Junaidu, where he identified his humble self-background vividly; his life style, his scholars, as well as his respective books. Similarly, this paper once again possessed an art of eulogic poetry, about his death that beclouded his spiritual being. That is, he felt it emotionally, and also the way he seemed to consoled and pacified the people affected. Finally, the way he arranged and composed his eulogic poetry by using some devices, such as: theme, as well as rhyme and meter, his conclusion and the references inclusively.

المقدمة:

الحمد لله الذي أمات وأحيا، يرث الأرض ومن عليها، القاهر فوق عباده وهو خير الوارثين، الذي كتب على عباده الفناء واستأثر بالبقاء، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وعلى آله الطيبين الأخيار، وصحابته غرّ الميامين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم ينفع الصادقين صدقهم.

أما بعد:

فهذه المقالة عبارة عن الرثاء في يائية الشاعر جنيد محمد زَارِيَا، دراسة أدبية تحليلية.

وتحتوى المقالة على النقاط التالية:

- التعريف بالشاعر جنيد محمد
- الرثاء لدى الشاعر جنيد محمد
- دراسة أدبية تحليلية لبائيته في الرثاء
- الخاتمة والهوامش والمراجع.

التعريف بالشاعر جيند محمد

نسبه ونشأته وتعلمه:

هو جنيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن عبد القادر، وعبد القادر هو جدّ جنيد محمد الثالث، وأصله من بَرْنُو، خرج بعد ثبوت الدولة لزيارة الشيخ عثمان بن فودي مع ابنه عبد الله، ورفقة من تلامذته في السنة ما بين 1810- 1812م.[1]

ولد جنيد من أسرة خادمة للعلم في *تَاكُوكِي*[2] نشأ في تلك القرية وترعرع فيها في كفالة أبيه. وكان من أحب أولاده إليه لذكائه، وتخلقه بأخلاق فاضلة وحسن سيرته وتأدبه بآداب حسنة منذ صغره، وكان محبا للعلم والعلماء وملازما لهم، فهذا مما جعله محبوبا عند أبيه.[3]

وما زال ينتقل من أستاذ إلى آخر طالبا ومستفيدا من أجلّة العلماء والأئمة المثقفين من تَاكُوْكِي إلى *فُنْتُوَا*[4] *وزَارِيَا*، حتى استقر لدى الشيخ محمد نَمَالَم بَابِي *غُونْدُ* الذي درس عنده كتبا منها: إضاعة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لشهاب الدين أحمد محمد ومختصر الخليل، للعلامة الشيخ خليل ابن إسحاق وغيرها[5].

ولما بلغ سنّ المراهقة بدأ يفكر عن توسيعه للعلم، ورأى أن يهاجر أهله هو ألصق وأليق له لأن لا تسمح له بقائه في أسرته في قضاء نحبه، فاستأذن والده فأذن له. وانطلق إلى *فُنْتُوَا* وذلك سنة 1977م، والتقى بأحد من كبار علمائها وهو الشيخ عبد الله دُوْرُوْ، ومكث عنده بضعة أشهر ثم انتقل إلى زَارِيَا، ونزل عند الشيخ زكرياء هو من كبار الشيوخ ومكث عنده مدة طويلة، ثم توجه إلى صُكُتُّو عند الشيخ محمد نَمَالَمْ بَابِي في سنة 1981م، ودرس عنده كتبًا، ثم توجه إلى كلية الدراسات الإسلامية العليا في زُورُ (H.I.S) ومكث سنة واحد ثم إلى يَاوُر[6] للإختتام ومكث فيها ثلاث سنوات للحصول على شهادة الثانوية في سنة 1985، وبعد ذلك عاد إلى زَارِيا لاستقرار حين اتصل بالشيخ عثمان بَابَاجُوْ ودرس عنده كثيرا من الكتب في معهده التقليدي كمختصر الخليل وألفية ابن مالك ومقامات الحريري وتحفة الحكام في نكت العهود والأحكام، لأبي بكر بن محمد، ثم أخذ يتجوّل بين العلماء في مدينة زاريا وقرأ كتب اللغة عند الشيخ بَلَامَيْ أَشَفَا في حارة تسمى كُسْفَا بداية من الأجرومية وملحة الإعراب في النحو.[7]

وهناك من تأثر جنيد محمد بهم في المدارس النظامية أمثال الشيخ مسعود المصري تعلم عنده علم النحو والشيخ إدريس إِتِتْرِيَا الذي تعلم منه متون اللغة والشيخ حسن بن حسن السوداني الذي تعلم منه علم البلاغة والعروض، والشيخ أمري المصري الذي تعلم عنده علم الفقه، والدكتور حمدي الذي تأثر به في علوم اللغة[8]، ثم واصل دراسته بجامعة أحمد بلّو زَارِيا، وتخرج فيها متحصلا على شهادة الدبلوم في اللغة العربية سنة: 2007م[9]

إنتاجاته العلمية والأدبية:

لقد ألف الشيخ جنيد محمد مؤلفات كثيرة نثرا وشعرا في فنون مختلفة منها:

الفقه:

1- نوال ذي الجلال والاكرام، مخطوط.
2- قلم العدل في أخذ الثأر على قضاة الجور، مخطوط

الحديث:

1- نبذة من أحاديث شهيرة إلا أنها موضعة أو ضعيفة، مخطوط.

الإرشادات:

1- آداب التعليم والتعلم، مخطوط
2- إيقاظ الهمم، مخطوط
3- تيسير العزيز عما لا ينبغي أن يتفوه به أولوا الألباب، مخطوط
4- الضياء في العرفان للشيم والأخلاق، مخطوط
5- ستون مسألة في الأخلاق والشيم. مخطوط

الأدب:

1- مدح مشاهير العلماء في مدينة زَاريا، مخطوط
2- السلسبيل في مدح الرسول ﷺ. مخطوط
3- زيارة الشيخ أبي بكر ثُوْنَا. مخطوط

التاريخ:

1- ضوء البدر في تاريخ المعلم جبريل المعروف بمَالَمْ نَايَا. مخطوط
2- فضل الباري في ترجمة حياة الشيخ زكرياء. مخطوط

مراثي:

1- مرثية الشيخ زكرياء. مخطوط
2- مرثية الشيخ عثمان بَابَاجُو. مخطوط
3- مرثية الدكتور محمد الهادي الشيخ الطاهر عثمان بَوْثِي مخطوط
4- مرثية زينب زوج الشيخ زكرياء. مخطوط[10]

الرثاء لدى الشاعر جنيد محمد:

قبل الشروع في الهدف المنشود يجدر للباحث أن يذكر بإيجاز الرثاء في الشعر العربي النيجيري.

إن الرثاء كما عرفه الأدباء: هو مدح الموتى وتعداد مناقبهم ومحاسنهم وآثارهم والتفجّع على فقدهم.[11] وهو غرض من الأغراض الشعرية القديمة والحديثة.

وأما الرثاء في الشعر العربي النيجيري، فقد ظهر كما ظهر في الأدب العربي الإسلامي، إذ كان الشعراء يسيرون على نفس الدرب التقليدي في رثائهم، يذكرون الموت وغدره ويذمون الدنيا وغرورها ويشيرون إلى محاسن الميت، ويصفونه بأوصاف حميدة وأخلاق فاضلة[12].

فالظاهر أن فن الرثاء في نيجيريا في القرن التاسع عشر،والعشرين والحادي والعشرين كان أكثر من المدح، فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم ونظموا يرثون بها الميت.[13]

وأما الرثاء لدى الشيخ جنيد فقد تناوله وقال فيه قصائد ولكن الباحث اختار يائيّته التي رثّى بها شيخه ومعلمه الشيخ زكريا، وتقع القصيدة في مائة وأربع عشر بيتًا.

الندبة:[14]

كان الشاعر جنيد محمد يسير على الدرب الشعري الرثائي، حيث يذرف الدموع ويظهر الحزن الشديد والتحسر لفقد هذا الشيخ الجليل إذ لا عجب أن يصدر الجزع منه لفقد عالم كبير وإمام يقتدي به في الدين والدنيا. في ذلك قائلا:

واللّيلُ صَـــــارَ دَامسًـــا * نَـــهـــارُنـــا لَيَـــــــالِيـــــا

والشمْس ليسَ طالِعًا * والْبدرُ ليسَ بَادِيَـــا

دُمُـــــــوعَنَـــا تحـــدّرَتْ * لِمَـــوْتِهِ بَـــــلَا عَيَـــا

أبدع الشاعر في هذه الأبيات، حيث صاغ هذا المعنى بعد ثلمة أتى الدينا والعلم من وفاة هذا الشيخ الكبير، لما فيه من حزنه الشديد وآلامه العميقة تجاه المفقود، يعظم هذه الداهية، ويصف ما فيها من فظعة ودهشة في صورة خيالية جذّابة يصور الدمس مبينًا شدة ذعره في ذلك، ويتأوه لفراقه لأنه ما آذى البرية والأنام، وانحاز في البكاء والعويل، يؤلم قلبًا، ويتحرق حزنًا من ذكر مزاياه ومحاسنه وفضائله وأخلاقه الحميدة، والتأسف على أنها ذهبت بذهابه.

وفقدان هذا الشيخ ثلمة للإسلام والمسلمين، لأنه اتخذ القرآن الكريم والحديث النبوي مسندا له في كل ما يعلمه مقتديا بالسلف الصالح من الصحابة وغيرهم. فبهذا دخل يرسل قصائده لإثارة الحزن الشديد حلت على أبناء مجتمعه عمومًا وعلى الطلاب خصوصًا، وقد استهل قصيدته بهذا المطلع، يصيح بأرفع الأصوات، واحمرار العين وانهمار الدموع من الآلام والأحزان التي يعانيها لوفاة فقيد الطلاب.

وبعد هذا المطلع أزدف بما ألّم به من التيه والحيرة، واستعظام ما أصاب الطلاب من فقد أستاذٍ مربٍّ، وكل ذلك ليكون ذريعة للشاعر في رثاء هذا الشيخ، لما يبذله دائما إلى المحتاجين، سفرا وحضرا، شدة ورخاء، فإنه يجود بما وهبه الله من العلم يعلّم الناس الخير ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم، يفيد تميل القلوب إليه وتصريف نحوه الوجوه ويستدعي إصغاء الأسماء إليه.

التأبين:

واصل الشاعر في سرد معنى آخر وهو ذكر محاسن هذا الراحل الأب الحنون المرب العالم المتفنن قائلًا:

أَفْعَالُـــــــــــــهُ تَكَاثَرَتْ * فِي الخَيْرِ لَيْسَ غَاوِيَا

كَانَ كَرِيـمُ النَّفْـــــسِ * ذَا أَدَبٍ وَذَا الحَيَا

وَصَادِقٌ مَقَـــــــــــــالُهُ * وَعَنْ هَوًى مُنْاهِيَا

فِي النَّاسِ ذَا تَوَاضُعٍ * ذَا طَاعَةٍ بِلاَ عَيَا

استغرق الشاعر أبياتًا يصف ما لفقيده من الصفاة الحميدة والأخلاق النبيلة، الذي تضاءلت الحركات من فقده، ونحل الجسم لوفاته، وبكا وتحير لموته العوالم عمومًا والطلاب خصوصًا، واضطرب ولم يستقر قلبه من الحزن والتفجع عليه، وشرع في الصرخ والعويل لفقد هذا الشيخ، وهذا إشارة وملامح بحسن صفات المفقود وأخلاقه الحميدة ورساخته في العلم، والجود والكرم بلا عوض.

استمر الشاعر في وصف أحوال المرثى رحمه الله يبين زهده وورعه. وأنه وصول الرحم حلو الكلام، قائلًا:

وَزَاهِـــــــــــــدَا وَوَارِعًا * بِمَـــــــــــا أَتَاهُ رَاضِيَا

كَانَ وُصُولُ الرَّحِمِ * حُلْوُ الكَلاَمِ شَافِيَا

استطاع الراثي أن يصور أحزانه بدقائق يجلي ويتنفس عما يحس من آلامه، ويستقر على قلوب المستمعين إليه وأحاسيسهم ما يعانيه لهذه الصدمة.

التعزي:

اختتم الشاعر قصيدته يعزي أهل الفقيد ويسلي نفسه وأقاربه والشعب النيجيري جميعا ويتصبر لما أصابه من فقد شيخه الذي ربّاه وأحسن تربيته الشيخ زكرياء زَارِيَا رحمه الله. قائلًا.

إِلَى الرَّفِيـــــــقِ الأَعْـــــــلَى * شَيْخِيَ كَـــــانَ رَاقِيَـــا

إِذْ كُـــــــلُّ رُوحٍ ذائِـــــــقٌ * لِلْمـــــــوْتَ لا تَوانِيَـــــا

والصّبْرُ خيرُ صَاحبٍ * والحُزْنُ ليسَ نَاجِيَـــا

صبر الشاعر نفسه وشعبه في مفارقة المفقود شيخه، مبينا أن متوفاهم ليس أول من ذاق الموت بل إنه سبيل كل مخلوق. وكان واجب الشعب التصبر على الداهية والرضى بالقدر، وكل شيء عنده بمقدار. ولذا صبر الشاعر نفسه وقومه. أخيرًا أكمل أبياته بالدعاء للمفقود أن يغفر الله ذلاته، وليكون دعاءه مستجابة صلى على النبي المختار وعلى آله الطاهرين وصحابته الطيبين، خلاف ما يفعله الشعراء في الجاهلية. ويتضح ذلك جليًّا في قول الشاعر:

يَا رَبَّنـــــــــــا فاغْفِرْ لـــهُ * وكُنْ عَلَيْـــــــــهِ رَاضيَـــا

يـــــا ربَّنَـــــا فَجَـــــازِه * عَنّـــــا جـــــزاءً مرْضِيَا

ثمّ الصـــــلاةُ والسلامُ * عليـــــــهِ خَيْـــــرُ الأَنْبِيَا

والآلِ ثـمّ الصـــحبِ * كـــــــذاكَ كُـــــلّ الأوليَا

وهذا يدل على حسن الرثاء لدى الشاعر، حيث أظهر دهشته وحزنه وتحيّره بأنواعه من ندب، ونداء، وبكاء، ووحشة، وانبعاثه من القلب الصادق والعاطفة الصادقة.

الأسلوب:

والأسلوب عند الأدباء عبارة عن "الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الشاعر أفكاره ويبين فيها ما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات"[15].

فالأسلوب إذا طريقة اختيار ألفاظ وترتيبها في التراكيب والمعاني التي تحملها تلك الألفاظ والتراكيب. وهو القالب الذي تصبّ فيه الكلمات والجمل.[16] أو القالب الذي تفرع فيه الكلمات والجمل.[17]

أما أسلوب الشاعر في القصيدة يتسم بالسهولة، ويتجلى بسلامة العبارة وعذوبة الموسيقى، ويمكن ملاحظة ذلك عند تتبع الألفاظ والتراكيب.

صياغة الألفاظ:

أجاد الشاعر عند رسم قصيدته باختيار ألفاظ حسنة وملائمة تقدر على وصف غرازة حزنه وألَمه تجاه المفقود في اتصاف أسلوبه بالوضوح، والوضوح أول الصفات الجيدة التي أبرزها الشاعر في رثائه، ويؤكد الجاحظ بأهيمته فقال: "حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه"[18]. وقد جرى أسلوب الشاعر على هذا المنوال، قائلًا:

وَصَـــــــــائِمٌ نَهَارَهُ * وَقَـــــــــــــــائِمٌ اللَّيَالِيَا

وَزَاهِـــــــدًا وَوَارِعًا * بِمَا أَتَاهُ رَاضِيـــــــَا

وَشَاكِرٌ لِمَا أَتَى * مِنْ وَّاهِبٍ عَلاَنِيَا

ومما اتصف به أسلوب الشاعر من الروعة في اختيار الألفاظ، أحسن الشاعر استعمال لفظ خبر لمبتدإ محذوف الذي هو المستند إليه من التفعلة الأولى في كل من الأبيات الثلاثة تقديره "هو" أي هو "صائم" هو قائم" "هو زاهد"، "هو شاكر" فحذف المبتدأ في هذا الموقف كي يزيد معنا زائدا هو إنشاء المدح، كما يكون الحذف للمدح أو الذم أو الترحم.[19]

صياغة التراكيب:

تبدو تراكيب القصيدة في جملتها سليمة وسهلة، حيث ساعدته في صوغ معنى مثيرة للعاطفة، ليسهل للعامة والخاصة المسايرة معه في تناول القصيدة، وإذا أراد الشاعر وصف الأمر بالإثبات والتأكيد يستخد الجملة الاسمية بينما يستخدم الفعلية دلالة على الطلب، ومن الجمل الفعلية قوله الشاعر:

يا رَبَّنَا فَاغْفَرْ لَـــــــهُ * وكُـــــنْ عَلَيْهِ رَاضِيَا

يا ربِّ فارْحَمَنْ بِهِ * وكُـــــــــــنْ لَّـــهُ مُرَقِّيَـــا

قد أثبت الشاعر طلب غفران الله تعالى لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وقد وضح الشاعر صيغة الأمر للتحسين والتزيين، داعيا إلى الله أن يديم المرثي على حالة التي أشار إليها، وينيله رغائبه مستخدما صيغ الأمر لأداء ذلك المعني الذي هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدني هو "الدعاء" ومن ذلك قول الشاعر:

وكُـــــنْ لّهُ مُجَـــــاوِرًا * في قبْـــــرِهِ وجَازِيًـــا

جَنَّـــة فِرْدَوْسٍ لَّهُ * غَدَا تَكُونُ دَانِيَا

استخدم الشاعر أفعال الأمر الحقيقي، ليست خارجة عن غرضها الأصلي، وهو "الطلب" وقد أثبت طلب غفران الله تعالى للمرثي، مع أن هذه الجملة فعلية صاغه بالأمر ليفيد على الطلب في قوله: "فاغفر له" فارحمن به" فهذه الجملة فعلية المراد به الالتماس.

ثم استخدم الشاعر الجملة الاسمية في الأماكن المناسبة بمنتهى السهولة ليفيد معنى الثبوت والدوام قائلا في ذلك:

واللّيلُ صَـــــارَ دَامسًـــا * نَـــهـــارُنـــا لِيَـــــــالِيـــــــا

والشمْس ليسَ طالِعًا * والْبدرُ ليسَ بَادِيَـــا

أراد الشاعر أن يثبت القارئ مدى عظيم البلية الواقعة، وثبوتها بحيث لا يزعزها شيء، فاستخدم الجملة الاسمية وهي "والليل" "نهارنا" "والشمس" "والبدر" كلها جمل إسمية تفيد الثبوت.

ومن الأسلوب الجيد استخدام الجملة الاسمية في قصيدته ليفيد الثبوت والدوام قوله:

وكُـــــنْ لّهُ مُجَـــــاوِرًا * في قبْـــــرِهِ وجَازِيًـــا

جَنَّـــةَ فِرْدَوْسٍ لَّهُ * غَدَا تَكُونُ دَانِيَا

يتضرع الشاعر إلى الله في مناجاته له ملتزما الرجاء وطلب الرضا منه، أن يجعل المرثي في جماله كي يجد نفسه من الذين يستظلون تحت العرش يوم القيامة ناظرا إلى وجهه الكريم، بفضله لا بمطلق أفعاله الحسنة، ويكون حبيبه مصطفى محمد ﷺ مجاورا له من قبره إلى الجنة. ذلك لأن صفة النقص جبلية للإنسان وهي ثابتة دائمة وملازمة له، لذا بين الشاعر عظمة رجاء المواهب الإلهية وعطاياه نحو المرثي، وبين الشاعر مدى مكانه ومنزلته تجاه المفقود في طلب جوار رسول الله ﷺ له في الجنة، في سياق الجملة الاسمية هي"جنة فردوس" ليفيد الثبوت والدوام فيها.

العاطفة:

إن العاطفة عنصر هام من عناصر الأدب العربي إذ أنه يعبر عن شعور الأديب وانفعاله وإحساسه تجاه عمله الأدبي بما يحيطه من ظروف الحياة على اختلاف أنواعها، كما يقوم بإثراء شعور الآخرين في الصور والأساليب تؤدي وظيفة اشتراك المستمعين إليه، ونظرا لأهميته في المجال العمل الأدبي سماها الأدباء بـ "الميول النفسية التي تدفع الشاعر للقول والداعي كثيرة منها: الطرب، والطمع، والغضب، والشوق وغيرها.[20] وهي الحالة الوجدانية التي يشتركالناس فيها جميعا في حزن، وفرح وحجل وما إلى ذلك.[21] ويرجح الباحث أن قصيدة الشاعر قالها لدافع هو: الحنان لفقد شيخه ومربيه ومرشده الشيخ زكريا زَارِيَا، والعاطفة الخاصة تعلن حزنه وتحسره التي تنبعث عن سبب صحيح غير زائف تهب الأدب قيمة خالدة.[22] والشاعر صادق فيما يقوله. قائلًا:

هُـــوَ أَبِي وَسَيِّـــدِي * وذاكَ شَيْخِي زَكرِيَـــا

وَهُو أُسْتَاذُ الـــــذِي * أَخْرَجَنِي منْ جَهْلِيَا

وَهُوَ شَيْخِي قَادَنِي * إِلـــى الإِلَـــهِ لا عَيَـــا

إن هذه الأبيات آية تشهد على صدق الشاعر فيما يقوله، والألفاظ التي استخدمها تكفي دليلا على انهياج عاطفته، قوله: "هو أبي وسيدي" ومن فقد صهره أنه يهيج الحزن الشديد، وكذلك قوله: "هو أستاذ الذي أخرجني من جهليا" والطالب الذي خسر عماده وملاذه ومشرب علمه يكون حزينا، بل فيدفعه شعوره إلى القول لأنه صادق فيما يدعيه، وكذلك قوله: "وهوشيخي قادني إلى الإله لاعيا" والمريد الذيفقد مربيه، والسالك الذي خسر مرشده، فصار من الأشخاص العاديين لقصورهم عن القيام بما يقوم به ذوي الألباب الأذكياء الذين يسابقون إلى رحابه ﷺ لينالوا من بركاته، ويستبقوا من أنواره ويظفروا بشفاعته يوم القيامة، لذا لولا أن الشاعر يذكر أوامر ربه بالصبر عند المصيبة لظلّ في العويل لهذه الصدمة إلى يوم اللقاء لفقد هذا الشيخ النبيل، وعلى هذا وصف الباحث عاطفة الشاعر بالصدق الفني.

الخيال:

إن الخيال عنصر جوهري من الصور الأدبية الهامة وتعنى في اللغة: الشخص والطيف"[23] ويطلق اللفظة ويراد بها: "صورة تمثال شيء في المرآة.[24]

أو كل شيء تراه في الظل، وما ترى في النوم.[25] وأصله: "القوة المجردة كالصورة المتصورة في النوم وفي المرآة والقلب..."[26]

وأما في اصطلاح الأدباء فالخيال: ملكة فكرية وذهنية يمتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات وهي تنمو مع الفرد وتتغذى من تجاربه، وبهذه القدرة يستطيع تشكيل صورة من الطبيعة يعبر بها عن أفكاره.[27]

ويرى النقاد أن الكلام المشتمل على الخيال أروع وأقوى تأثيرا في النفس، فقالو: المجاز أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع.[28]

ومهما يكن من أمر، فقد حصر النقاد مراتع للخيال يعتمد عليها الأديب في بناء عمله الأدبي، وعلى هذا فالخيال محصور في أبواب الاستعارة، والتشبيه، والكناية، والمجاز المرسل.[29]

وأجاد الشاعر في اختيار المجاز المرسل يلاحظ ذلك في قوله:

كَانَ هُدًى إِذَا بَدَا * فِي الدِّينِ كَان عاليَا

تظهر قوة الخيال من البيت في الصورة البيانية المتمثلة في المجاز، حيث صور الشاعر المرثي بأنواع المجاز ومن ذلك إحياء شعائر الإسلام ونشر القيم الدينية في قوله: " كان هدًى" حيث أثبت المفقود في التمسك بالدين الإسلامي وشريعته وكثرة الخوف للمعاصي، فبهذا يكتشف للقارئ أن المفقود قد قام بحركة الدعوة الإلهية في مجتمعه، فدعى الناس إلى التوحيد وعبادة الله وترك الشرك وعبادة الأوثان، ومن ذلك وصف المفقود بـ" هدًى" للدلالة على كثرة الخير.

ومن الصور الخيالية الجيدة في الشعر "التشبيه" قد أحسن الشاعر في استعمال هذه الظاهرة مما يبرهن على أن القصيدة آية تشهد من آيات الفنّ ومن ذلك قوله:

والصَّبْرُ خَيْرُ صَاحبٍ * والْحُزْنُ لَيْـــــــسَ نَاجِيًا

في الهموم والأحزان، بعد فقد أستاذه يصيح الشاعر ويعوَل لوفاة هذا الشيخ، وشخص الشاعر الصبر وصبّ عليه الروح ثم شبهه برجل عاقل نبيل يجدر أن يكون صديقا له لعفته وعقله، لداهية ألمت به من فقد ملاذه، تظهر روعة صنعة الشاعر في هذا الموقف حيث أسند الحياة والروح إلى ما لا يُرى حسًا أو يلمس بيدٍ وشبّهه بإنسان ألا تخيل أن الصبر قد تمثل في صورة إنسان ثم خذف المشبه به "إنسان" ورمز إليه بشيء من لوازمه هي "الصحبة" التي هي القرينة المانعة من إدراك العنى الحقيقي.

الموسيقى:

للموسيقي دور في العمل الشعري، إذ لا يمكن لشاعر أن سيتغنى عنها، في انسجام وشكل ذي وقع موسيقي، والوحدة في النظم تشد من أزر المعنى تجعله يتسرب إلى قلوب المسامعين والمنشدين، فيرى إبراهيم أنيس أن شرط ذيوع الشعر وشهرته أن تستمع آذان الناس بموسيقاه قبل استمتاعهم بمعانيه ومراميه.[30] لذا قسم النقاد الموسيقى الشعرية إلى الداخلية والخارجية.

الموسيقى الداخلة:

فهي متعلقة بما يتكون منه البيت الشعري من حروف وحركات وكلمات ومقاطع يعمد الشاعر إلى خلقها باعتماد أساليب وأشكال متعددة اعتمادا على موهبته وخبرته ومهارته وذوقه الموسيقى واللغوي.[31]

وهذه الموسيقى تتمثل في المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، من جناس، وسجع، ومقابلة وطباق، وترتيب الكلمات وتخيرها، وكل ما من شأنه أن يعين على تجود البنية والرنين في أبيات الشعر.

ومما يساهم في الإيقاع الداخلي وإحداث التناغم الموسقى وأثره الخفي في المعنى، الطباق: " هو الجمع بين الشيء وضده في الشعر أو النثر.[32]ومن الطباق في القصيدة قوله:

وَحُبُّـــــــــــــــهُ لِلنّـــــــــاسِ * في ظَاهِـــــــــرٍ وخَافِيَـــــا

يلاحظ في البيت السابق أن الشاعر يصف فيها حالةالمفقود بين الناس قبل وفاته، وهو في حالة ضيق وشدة وجدبٍ يحبّ الناس في ظاهره كباطنه وهو في هذه الحالة لديهم.

يفيد المستمعين وفضّل أن يلقي صورة الطباق ليوضح حالة المفقود ويقررها للساميعن بأقوى بيان وأسلوب رائع بين "ظاهر" و "خافية" هي الأمور المتضادة، أتى بها هنا ليعلم سامعه وقارئه هذه الصفات التي اتصف بها فقيده، وأنها لازمة له في جيمع أحواله، ولأنه في جمع الضدين معنى لطيف ومعزى تطرب إليه الأذن.

الموسيقي الخارجية:

أجاد الشاعر في اختيار الأوزان والقوافي، حيث استخدم بحر الرجز الذي يلائم الشعر الأدبي والعلمي، كالرثاء وغيره، هو من أبحر الشعر ووزنه "مُسْتَفْعِلُنْ" ست مرات وقد يكون مجذوء بحذف تفعلة الأخيرة في الصدر والعجز من البيت فتكون أربع مرات، وقيل سمى بذلك لاضطرابه تشبيها بالرجز في الناقة أو الرعد سمع صوته متتابعًا، استخدم الشاعر هذا البحر مجذوء لكونه أخف على لسان المنشد، واللسان به أسرع، وكان يلائم موقفه لأنه وزن رقيق تجود نظمه في الأحزان كالقتال.[33]

ومما زاد خفة أسلوب الشاعر وسهولته ووضوح معناه، وإيثاره استخدام قافية الياء، هي الحرف الثامن والعشرون من أحرف المباني، وهي من الأجوف والقوافي الذلل الرقيقة الواضحة، هي مما توافر لدى العرب من الأصوات السهلة لم تكن مما يثقل للذوق السليم، ويلاحظ الإيقاع في قول الشاعر:

أَحْزَانُنَا تَوَاتَـــــرتْ * لِمَـــــا أَتَى نَا بَادِيَـــــا

تقطيع البيت:

عَحْـــــــــزَانُنَـــــا \ تَوَاتَـــــــــــــرَتْ * لِمَـــــا ءَتَـــا \ نَـــابَـــــــادِيَـــــــــــا

مُسْتَفْعِلُـــــنْ \ مُـــــتَفْعِلُـــــنْ * مُتَـــــفْعِلُنْ \ مُـــسْتَـــــفْعِلُـــن

سليمة العروضة مخبونة[34] مخبونة والضرب سليم

وكانت القصيدة من بحر الرجز ورد بعض أجزائها في الصدر والعجز سليمة ومخبونة

القافية:

ولا تقل القافية في أهميتها عن الوزن، وقد أشار إليها النقاد بقولهم في تعريف الشعر، أنه قول موزون مقفى، وأما ابن رشيق القيرواني فيرى أن القافية شريطة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية[35].

ومما زاد النظم رونقا وجمالا إتيان قافية البيت كالشيء المنتظر، بحيث لا يستغنى عنها السامعين والمنشدين في قول الشاعر:

وَالشَّمْسُ لَيْسَ طَالِعًا * وَالبَدْرُ لَيْسَ بَادِيَا

كلمة "بَادِيَا" الواردة في البيت هي القافية، جاءت لتكمل ما يحمله البيت من المعاني، كشوف الشمس وخسف القمر في خيال الشاعر، والياء فيها هي الروي، والألف الذي بعدها هو الوصل، إشعارا لشدة بكائه وحزنه نحو المفقود.

الخاتمة:

حاول الباحث في الصفحات السابقة بسرد المقدمات الأساسية، ثم أدرف ذلك بتحليل يائية في رثاء الشيخ زكريا من حيث ذكر بعض من قيمها المعنوية والفنية، مظهرا ما تضمنّه التراكيب والألفاظ وموسيقيها الداخلي والخارجي والقافية، حيث استعان الشاعر بعاطفته الجيّاشة وخياله في تنظيم أفكار أسلوبه وضّاء، ويرجو الباحث من الله تعالى التوفيق والسداد وهو المستعان. وآخر دعونا عن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1- ثاني غمبو سعيد، مساهمات الشيخ جنيد محمد في نشر الثقافة الإسلامية بمدينة زاريا، بحث تكميلي لنيل شهادة الماجستير في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة عثمان بن فودي سنة 2014م، ص: 32.
2- بلدة في ولاية زمفَرَا تابعة لتَلَاتَ مَفَرَا الحكومة المحلية.
3- ثاني غمبو سعيد، المرجع السابق، ص: 33
4- بلد في ولاية كَشِنَا
5- ثاني غَمْبُو سعيد، المرجع السابق، ص: 33
6- بلدة في ولاية كَبِ، على حدود ولاية كَبِ وولاية نَيْجَا.
7- ثاني غَمْبُو سعيد، المرجع السابق، ص: 35
8- ثاني غَمْبُو سعيد، المرجع السابق، ص: 36
9- لقاء مع الشيخ جنيد محمد في بيته بزَارِيَا، 2\9\2017م
10- ثاني غَمْبُو سعيد، المرجع السابق، ص: 38
11- غَلَادَنْثِي، أحمد سعيد (البروفيسور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص: 147
12- أحمد سعيد غلادنثي (البروفيسور)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص: 112.
13- ابن رشيق، العمدة في محاسن العشر، ج\ 2، ص: 154
14- الأصل في الندبة: الدعاء – وإن اشتهرت ببكاء الأموات، راجع كتاب شرح الحماسة ج1، ص: 3
15- الزبيدي، تاج العروس، ج/1، ص: 589
16- شوقي ضيف (الدكتور) في النقد الأدبي، ط\7، دار المعارف، 1962، ص: 17
17- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون المطبعة المصرية، ص: 69
18- الجاحظ، البيان والتبيين، ج\ 1، ص: 91

19- عبد العزيز عتيق (الدكتور)، علم المعاني، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، 1427ه 2006م، ص: 99
20- أحمد أحمد بدوي، (الدكتور)، أسس النقد عند العرب، ص: 504
21- شوقي ضيف، في الأدب والنقد، نشر دار المعارف، ط\8، 1962م، ص: 13
22- أحمد أحمد بدوي، المرجع السابق، ص: 209
23- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية، دار العلم،بيروت، لبنان، ط\4، 1990م، ص: 353
24- مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، المعجم الوسيط الجزء الرابع، ص: 411
25- الفيروزآبادي، مجمع بن يعقوب، القاموس المحيط، النسخة الإنترونية، مصدرها: المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ج\4، ص: 266
26- محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ج\1، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ط\1، دار الفكر بيروت 1410ه، ص: 329
27- أبو شريفة، عبد القادر وزملائه، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط\1، 1990، ص: 39
28- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن العشر أدبه ونقد، ط\1، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص: 77
29- بدوي، أحمد أحمد (الدكتور)، المرجع السابق، ص:512
30- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المطبعة البهية المصرية، ص: 69
31- داحي أسية، الإيقاع المعنوي في الشعرية، ص: 77
32- البسيط في علوم البلاغة، محمد طاهر اللادقي، ص: 226
33- معلوف لويس، المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة العشرون، دار المشرق، بيروت لبنان، 1960، ص: 25
34- الخبن هو: حذف الجزء الثاني الساكن من التفعلة من مُسْتَفْعِلُنْ فتحول إلى مُتَفْعِلُنْ.
35- ابن رشيق القيرواني، ط\1، المرجع السابق، ص: 99